**إنسان بدون هدف كسفينة بدون دفة كلاهما سوف ينتهي به الأمر على الصخور**
**( توماس كارليل)**

# المبحث الثاني

## دور الركود

## (١١) سليم الثاني ابن سليمان القانوني (٩٧٤- ٩٨٢هـ)، (١٥٦٦- ١٥٧٤م)

ولد في رجب عام ٩٣٠هـ، وهو ابن سليمان القانوني من زوجه روكسلان الروسيَّة، وفي عهده بدأ انحطاط الدَّولة، وقد تولَّى السلطة عام ٩٧٤هـ، ولم يكن مؤهلاً لحفظ فتوحات والده، ولولا وجود الوزير الفذِّ، والسياسيِّ القدير محمد باشا الصُّوقلِّلي[١] لانهارت الدولة؛ إذ حافظ على هيبتها، وزرع الرهبة في قلوب أعدائها[٢].

### فتوحاته والتحالفات الصليبية ضده:

في ربيع الثاني عام ٩٧٩هـ، الموافق ١٥٧١م استسلمت جزيرة قبرص[٣].

---

١- ولد عام ٩١١هـ في بلدة سوكول في البوسنة التي تقع في يوغسلافيا اليوم، تولى الصدارة في الدولة العثمانية في عام ٩٧٣هـ في عهد السلطان سليمان وابنه سليم، وربما كان الحاكم الحقيقي في الدولة حتى وفاة السلطان سليم عام ٩٨٢هـ، جرى اغتياله وتوفي عام ٩٩٣هـ في استانبول. وصقللي معناها ذو اللحية.

٢- تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون، ص (١٢٣، ١٢٤).

٣- قبرص: جزيرة صغيرة مهمة لمركزها الجغرافي بالقرب من سواحل الشام ومصر واحتلالها ضروريٌّ لمن يريد بقاء هاتين الولايتين في حوزته، وبالرغم من ضرورتها للدولة العلية سلمتها لإنكلترا بمقتضى معاهدة ٤ يونيه سنة ١٨٧٨ حينما كان الروس محتلين ضواحي الأستانة.

ونقلت الدَّولة العثمانيَّة بعد فتحها لقبرص عدداً كبيراً من سكان الأناضول إليها، ورحَّبَ القبارصة الأرثوذكس بالحكم العثمانيِّ الذي أنقذهم من الاضطهاد الكاثوليكي؛ الَّذي مارسته البندقيَّة عليهم لعدّة قرون[1].

## معركة ليبانتي[2]:

ارتعدت الأمم المسيحيَّة خوفاً من الخطر الإسلاميِّ العظيم الَّذي هدَّد القارة الأوربيَّة، من جرّاء تدفق الجيوش العثمانيَّة برَّاً، وبحراً، فأخذ البابا بيوس الخامس (١٥٦٦-١٥٧٢م) يسعى من جديد لجمع شمل البلاد الأوربيَّة المختلفة، وتوحيد قواها برَّاً، وبحراً تحت راية البابويَّة[3].

وجاء في أحد بنود المعاهدة النَّصرانيَّة: «إنَّ البابا بيوس الخامس، وفليب ملك إسبانيا، وجمهورية البندقيَّة يعلنون الحرب الهجوميَّة، والدفاعيَّة على الأتراك لأجل أن يستردُّوا جميع المواقع التي اغتصبوها من المسيحيِّين، ومن جملتها تونس، والجزائر، وطرابلس الغرب»[4].

بلغت قوَّة الأساطيل المتحالفة قرابة ٢٢٥ سفينة حربيَّة، و٧٠مركب نقل. أمَّا قوَّة الأسطول العثماني فكانت ٢٤٥ سفينةً حربيَّةً، و٧٨ مركب نقل. والتقى الطرفان في خليج ليبانتي[5].

لتبدأ المعركة في ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩هـ، حيث أحاط الأسطول الإسلامي بالأسطول المسيحيِّ، وأوغل العثمانيُّون بين سفن العدو، ودارت

---

١- انظر: في أصول التاريخ العثماني، ص (١٤٦، ١٤٧).

٢- تقع في الطرف الشمالي للفم الغربي لخليج كورنث في اليونان اليوم.

٣- حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص (٣٩٦).

٤- تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون، ص (١٢٦).

٥- المصدر السابق نفسه.

معركة قاسية أظهر فيها الفريقان بطولة كبيرة، وشجاعة نادرة[١]، وشاءت إرادة الله أن يهزم المسلمون في هذه المعركة، ففقدوا ثلاثين ألف مقاتل، وقيل عشرين ألفاً، وخسروا ٢٠٠ سفينةٍ حربيَّةٍ منها ٩٣ غرقت، والباقي غنمه العدو، وتقاسمته الأساطيل النَّصرانيَّة المتحدة[٢].

واستطاع قلج علي قائد الجناح الأيسر للأسطول إنقاذ نفسه، والمحافظة على بعض السفن التي غنمها، ورجع بها إلى إستانبول التي استقبلته استقبال الفاتحين بالرغم من الشعور بمرارة الهزيمة[٣].

احتفلت القارة الأوربيَّة بنصر ليبانتو، فلأول مرَّة منذ أوائل القرن الخامس عشر تحلُّ الهزيمة بالعثمانيين[٤]، وظلَّت دول أوروبا ومؤرخوها ينوِّهون بهذا النصر البحري؛ حتَّى إنَّ القواميس المدرسيَّة الحديثة لا تذكر ثغر ليبانتو، إلا وتذكر معه اسم (دون جون) قائد الحملة الصليبية في تلك المعركة، على اعتبار أنَّه أنقذ دول أوروبا من خطر كان يحيق بها[٥].

إنَّ أهمية ليبانتي كانت عظيمةً، فأسطورة عدم قهر العثمانيين قد اختفت، ولم تعد للوجود ثانيةً على أقل تقديرٍ في البحر، وأزيح ذلك الخوف عن قلوب حكَّام إيطاليا، وإسبانيا، وتزعزع تأثير الدولة العثمانية على سياسة القوى الغربيَّة في أوربة[٦].

---

١- انظر: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، ص (٤٥٤).

٢- انظر: تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون، ص (١٢٦).

٣- انظر: حرب الثلاثمئة سنة، ص (٣٩٨، ٣٩٩).

٤- انظر: في أصول التاريخ العثماني، ص (١٤٧).

٥- انظر: فلسفة التاريخ العثماني، ص (١٤٣).

٦- انظر: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، ص (٤٥٥).

## إعادة بناء الأسطول العثماني:

أقبل القبودان باشا قلج علي بهمَّة، ونشاط متزايد على تجديد الأسطول العثماني، وتعويض ما فقد منه، وما حلَّ صيف ٩٨٠هـ/١٥٧٢م حتَّى هيَّأ مئتين وخمسين سفينةً جديدةً، فارتعدت البندقيَّة من هذا الاستعداد البحري، وطلبت الصلح من الدولة العثمانية بشروطٍ مخزية؛ إذ تنازلت عن جزيرة قبرص، كما دفعت غرامةً حربيَّةً قدرها ثلاثمئة ألف دوكة[١].

## مناوشات حربية على تونس:

خرج دون جون بأسطوله من جزيرة صقليَّة في رجب ٩٨١هـ /١٥٧٣م، على رأس أسطول مكوَّن من ١٣٨ سفينة تحمل خمسة وعشرين ألف مقاتل، وباغت تونس، واحتلها، فهرب أهلها منها خوفاً على أرواحهم من بطش الجيوش النصرانية[٢].

فأصدر السلطان سليم الثاني أوامره إلى وزيره سنان باشا[٣]، وقبودانه قلج علي بالاستعداد للتوجه إلى تونس لفتحها نهائيَّاً، ووقع القتال بين الطرفين، لتحسم المعركة بنصر العثمانيين[٤].

---

١- انظر: حرب الثلاثمئة سنة، ص (٣٩٩).

٢- المصدر السابق نفسه، ص (٤٠٠).

٣- وهو رجلٌ طلياني وقع أسيراً في أيدي المسلمين، فأسلم وحسن إيمانه، وساعدته الأقدار فصار من أعظم الرجال في الدولة العثمانية، وقد حاول البابا، وبدعم من ملك إسبانيا، إعادة الرجل إلى النصرانية، ووعدوه بحكم أملاك العثمانيين إن استطاع جعل الدولة العثمانية دولة كاثوليكية، ولكنه رفض أفكارهم، التي زادته غيرة على الإسلام، وحماية أراضيه، وشعبه.

٤- انظر: الدولة العثمانية، د. الصلابي، ص (٣١٤....٣١٧).

يذكر أثناء هذه الحملة أن: الوزير سنان باشا، باشر الحرب بنفسه كواحدٍ من الجند، حتى إنه أمر بعمل متراسٍ يشرف منه على القتال، كما كـان ينقل الحجارة، والتراب على ظهره مثل الجنود، فعرفه أحد أمراء الجنود، فقال له: ما هذا أيها الوزير ؟ نحن إلى رأيك أحوج منا إلى جسمك، فقال له سنان باشا: لا تحرمني من الثواب(*).

## وفاة السلطان سليم الثاني، وبعض صفاته:

لا بدَّ من توضيح بعض الحقائق فيما يخص وفاة السلطان سليم الثـاني، فقـد ذكر مؤرخو الغـرب أنَّ سـبب وفـاة الـسلطان سـليم الإفـراط الـشديد في تناولـه الخمر، إلا أنَّ المؤرخين المسلمين يذكرون أنَّ سبب وفاته انزلاق قدمـه في الحمـام فسقط سقطةً عظيمةً مرض منها أيَّاماً ثمَّ توفي(١).

١- تاريخ الدولة العثمانية، سرهنك، ص (١٢٠).

*- الدولة العثمانيَّة، د. الصلابي، ص (٣١٦).

# (١٢) مراد الثالث ابن سليم الثاني
# (٩٨٢-١٠٠٣هـ)، (١٥٧٤-١٥٩٤م)

ولد في ٥ جمادى الأولى ٩٥٣هـ، الموافق ٤ تموز عام ١٥٤٦م[١]، وكان من أول أعماله أن أصدر أمراً بمنع الخمور بعدما شاعت بين النَّاس، وأفرط فيها الجند ولا سيَّما الإنكشارية، فثار الإنكشاريُّون وأجبروه على رفع أمره بالمنع، وهذا يدلُّ على ظهور علامات ضعف الدَّولة، حيث إنَّ السلطان لا يستطيع منع الخمور وإقامة أحكام الشَّريعة الإسلامية، وكذلك يدل على انحراف الإنكشارية عن خطِّها الإسلاميِّ الأصيل الذي تربَّت عليه، من حبِّها للجهاد، وشوقها للشهادة[٢].

## فتوحاته والتحالفات الصليبية ضده:

عمل السلطان مراد الثالث على تنفيذ السياسة التي انتهجها والده من قبل، ففي عهده قام بعَّدة حروب في أماكن مختلفةٍ.

وأصبحت بولونيا [٣] (بولندا) فعلاً تحت حماية العثمانيين عام (٩٨٣هـ/١٥٧٥م) واعترفت النمسا بذلك في معاهدة الصلح التي أبرمت مع الدولة في العام التالي، ومدتها ثماني سنوات[٤].

---

١- المصدر السابق نفسه.

٢- تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص (٢٥٩).

٣- بولندا (تعرف أيضا باسم بولونيا) (بالبولندية: Polska): هي جمهورية تقع في شرق أوروبا.

٤-انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص (١٠٠).

وفي عام (٩٩٣هـ /١٥٨٥م) تمكنت جيوش السلطان مراد من السيطرة على أذربيجان[١]، وجورجيا، ولوزستان[٢]، وذلك بعد أن دخلت تبريز مدينة الدولة الصَّفويَّة، فلمَّا تولى الشاه عباس الكبير[٣] حكم فارس سعى إلى إقامة صلحٍ مع العثمانيين، تنازل بمقتضاه عن الأقاليم التي فتح العثمانيون مؤخراً، كما تعهد بعدم سبِّ الخلفاء الراشدين- أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم- في أرض مملكته، وبعث بابن عمٍّ له يُدعى: (حيدر ميرزا) رهينةً إلى إستانبول لضمان تنفيذ ما اتفقا عليه[٤].

## اليهود، والسلطان مراد الثالث:

ظنَّ اليهود أنَّ الفرصة سانحةٌ لهم لتحقيق حلم راودهم طويلاً، فنزحوا في هجرات متقطعة، ومتقاربة إلى ((سيناء)) لاستيطانها، وكانت خطتهم تقوم في المراحل الأولى على تركيز إقامتهم في مدينة الطور؛ وذلك لكي يسهل عليهم إيجاد اتصالاتٍ خارجيةٍ، فلا يصبحون في عزلةٍ عن العالم، ومن ثمَّ فإنَّ السفن تستطيع أن ترسو في ميناء الطور، وتحمل أفواجاً من اليهود الجدد.

وقد تزعم حركة التهجير رجلٌ يهودي اسمه ((إبراهام))، ولما أقام اليهود بالطور؛ تعرَّضوا بالأذى لرهبان ((دير سانت كاترين)) ممَّا دفعهم لإرسال شكاوى مكتوبة للسلطان.

---

١- أذربيجان هي جمهورية تقع في الجزء الشرقي لمنطقة ما وراء جبال القوقاز. تعرف أذربيجان باسم آخر ألا وهو «أرض النار» وعرفت بهذا الاسم لأن حقول الغاز فيها تنفث النار من الأرض عند خروجها؛ إذ تمتلك البلاد احتياطياً كبيراً من البترول والغاز.

٢- إقليم في إيران.

٣- الشاه عباس الأول (١٥٧١- ١٦٢٩م) كان الحاكم الأكثر سمواً من سلالة الصفويين. كان يعرف أيضاً باسم عباس الأكبر أصبح شاه إيران في بداية شهر أكتوبر عام ١٥٨٨، بعدما تمرد على أبيه محمد الصفوي وسجنه.

٤- المصدر السابق نفسه، ص (١٠١).

ولما كانت الدولة الإسلامية مسؤولةً بحكم الشرع عن حماية أهل الذمة، سارع على الفور المسؤولون العثمانيون إلى إصدار ثلاثة فرمانات ديوانيَّة تقضي بإخراج إبراهام اليهودي وأهله، وسائر اليهود من سيناء ومنعهم منعاً باتاً من العودة إليها، والإقامة بها[١].

## وفاة السلطان، وبعض صفاته:

اهتمَّ السلطان مراد بفنون العلم، والأدب، وكان يتقن اللغات الثلاث: التركيَّة، والعربيَّة، والفارسيَّة[٢]، وفي عهده بلغت مساحة الدولة العثمانية الأوج وذلك بمساحةٍ بلغت: ١٩,٩٠٢,٠٠٠ كم٢[٣].

كانت وفاته في ١٦ كانون الثاني ١٥٩٥م عن عمرٍ يناهز ٤٩ عاماً، ودفن في فناء آيا صوفيا[٤].

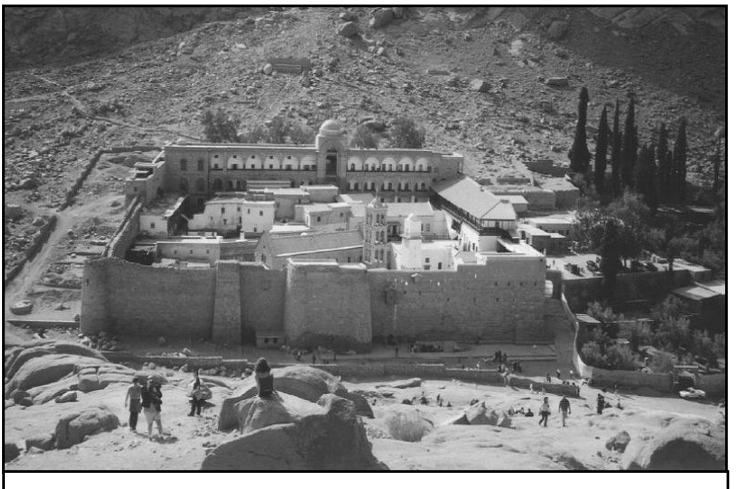

**دير سانت كاترين**

١- الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي، ص (٦٨).
٢- الدولة العثمانية، د. الصلابي، ص (٣٢٣).
٣- تاريخ الدولة، د. علي حسون، ص (١٣٠).
٤- السلاطين العثمانيون، ص (٥٥).

# (١٣) محمّد الثالث ابن مراد الثالث
# (١٠٠٤-١٠١٢هـ)، (١٥٩٥-١٦٠٣م)

## الحال في عهده:

بالرغم من حالة الضَّعف والتَّدهور التي كانت قد بدأت تعتري الدَّولة العثمانيَّة إلا أنَّ راية الجهاد ضدَّ الصليبيِّين ظلَّت مرفوعةً، وممَّا يذكر لهذا السلطان أنَّه لَمَّا تحقَّق له أنَّ ضعف الدَّولة في حروبها بسبب عدم خروج السَّلاطين، وقيادة الجيوش بأنفسهم، خرج بنفسه، وتقلَّد المركز الذي تركه سليم الثَّاني، ومراد الثَّالث، ألا وهو قيادة عموم الجيوش، فسار إلى بلغراد، ومنها إلى ميادين الوغى، والجهاد، وبمجرد خروجه دبَّت في الجيوش الغيرة الدينيَّة، والحميَّة العسكريَّة، ففتح قلعة أرلو الحصينة، التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في سنة ١٥٥٦م، ودمَّر جيوش المجر، والنمسا في سهل (كرزت) بالقرب من تلك القلعة، وذلك سنة ١٥٩٦م[١].

ويقول إبراهيم أفندي في تاريخه، وكان حاضراً في تلك الواقعة: إنَّه لو أمضت العساكر العثمانية شتاء ذلك العام بالحدود ثمَّ تقدَّمت في الربيع لكان أمكن افتتاح مدينة فيينا[٢].

## وفاة السلطان، وبعض صفاته:

توفي السلطان محمد الثالث في رجب سنة اثنتي عشرة وألف، ومدَّة حكمه تسع سنين، وله من العمر ثمانٌ وثلاثون سنة[٣].

---

١- انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص (٢٦٨).

٢- انظر: تاريخ الدولة العثمانية، سرهنك، ص (١٣٠).

٣- المصدر السابق نفسه، ص (٦٤).

## (١٤) أحمد الأوّل ابن محمّد الثالث
## (١٠١٢- ١٠٢٦هـ)، (١٦٠٣- ١٦١٧م)

تولَّى الحكم بعد وفاة والده وعمره ١٤ سنة، ولم يجلس أحدٌ قبله من سلاطين آل عثمان في هذه السنِّ على عرش الحكم، وكانت أحوال الدولة مرتبكةً جدًّا لانشغالها بحروب النمسا في أوربة، وحرب إيران، والثورات الدَّاخليَّة في آسيا[١].

### الحرب مع النمسا:

لقد نجحت الجيوش العثمانيَّة في هزيمة النمسا، واسترداد القلاع الحصينة، كما نجحت الجيوش العثمانية في جهادها بالمجر، وهزمت قوات النمسا هناك أيضاً، فنجم عن ذلك قبول النمسا بطلب الصُّلح، ودفع جزية للدولة العثمانية، مقدارها مئتا ألف دوكة من الذَّهب، وبقيت بلاد المجر بموجب هذه المعاهدة تابعة للدولة العثمانية[٢].

### تجديد الامتيازات:

حصَّلت هولندا على امتيازاتٍ، استغلت من خلالها نشر الدُّخان داخل ديار الإسلام، وبدأ تعاطيه من قبل الجنود، فأصدر المفتي فتوى بمنعه، فهاج الجند، وأيَّدهم الموظفون، فاضطر العلماء إلى السُّكوت عنه[٣].

---

١- انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص (١٠٥).

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- انظر: الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي، ص (٧٢).

إن القوى الأجنبية الكافرة تهتم بنشر كل محرمٍ فالله تعالى أحل لنا الطيبات النافعة، وحرم علينا الخبائث الضارة لأجسامنا، وعقولنا، ولذلك أفتى العلماء- رحمهم الله- بتحريم شرب الدخان، وبيعه، وشرائه؛ لما فيه من الأضرار الدينية، والدنيوية والصحية، وهو محرم في أوساط المسلمين وذلك للأسباب التالية:

١- إنه مضر بالصحة الغالية، وما كان كذلك يحرم استعماله.

٢- إنه من الخبائث المحرمة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

٣- إن رائحة الدخان تؤذي الناس الذين لا يستعملونه، بل تؤذي الملائكة الكرام لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدام؛ وقد حرم الله تعالى أذية المسلم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وغير ذلك من الأدلة التي ذكرها العلماء، ولكن لضعف الوازع التَّربوي، وضعف سلطان الدولة التي تشرف على تنفيذ الأحكام، حدث ذلك التَّمرد من قبل الجنود، والشعب على نحوٍ عام[١].

## وفاة السلطان، وبعض صفاته:

كان رحمه الله في غاية التَّقوى، وكان رجلاً مثابراً في الطاعات، ويباشر أمور الدولة بنفسه، وكان متواضعاً في ملابسه، كثير الاستشارة لأهل العلم،

١- الدولة العثمانية، د. الصلابي، ص (٣٣١، ٣٣٢).

والمعرفة، وفي عهده بدأ إرسال ستائر الكعبة الشريفة من إستانبول، وقبل ذلك كانت ترسل من مصر[1].

توفي وعمره ٢٨ سنة، وأوصى بالحكم لأخيه نظراً لصغر سن ابنه عثمان، وبذلك أصبح مصطفى الأوَّل أوَّل سلطان يتولَّى الخلافة بعد أخيه، والسلطان أحمد هو الذي بنى الجامع الأزرق الضخم مقابل جامع آيا صوفيا، والمعروف باسمه، وكان يعتكف فيه في شهر رمضان[2].

١- انظر: السلاطين العثمانيون، ص (٥٩).

٢- تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون، ص (١٣٣).

# السلاطين العثمانيُّون
# بين الضَّعْفِ والقوَّة

## (١٥) مصطفى الأوّل ابن محمّد الثالث
## (١٠٢٦ - ١٠٢٧هـ)، (١٦١٧ - ١٦١٨م)

ولد هذا السلطان سنة ١٠٠١هـ، ونشأ جاهلاً بأمور السياسة لأنَّ أخاه السلطان أحمد كان قد ضيَّق عليه الخناق، وحبسه بين جدران القصور، وبين الخدم. والجدير بالملاحظة هنا أنَّ هؤلاء الأمراء لو أنَّهم كانوا يتولَّون قيادة الجيوش، والمقاطعات بدلاً من الحبس أو القتل فربما كانت الأمور أفضل ممَّا حدث[١].

ولقد تولَّى السلطة بعد وفاة أخيه عام (١٠٢٦هـ) ومنذ عهده يظهر جليّاً أنَّ يداً أجنبيَّة كانت خلف تعيين وعزل الخلفاء، فهذا السلطان عُزِلَ بعد ثلاثة أشهر وجيء بابن أخيه (عثمان الثاني) الَّذي لم يزد عمره على الثالثة عشرة[٢].

وكان قد نُصِّبَ السلطان مصطفى مرتين، امتدَّت الفترة الأولى نحو ثلاثة أشهر، ثمَّ خلع من قبل المفتي، ولكنَّ الإنكشارية أعادوه بعد أن قتلوا السلطان عثمان الثاني، وذلك عام ١٦٢٢م[٣].

أما الفترة الثانية من حكمه فقد انتهت على يد الصدر الأعظم علي باشا؛ إذ أشار على رجال الدولة بعزله لضعف عزيمته؛ فعزل في ١٥ ذي القعدة سنة

---

١- تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون، ص (١٣٤).

٢- انظر: الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي، ص (٧٢).

٣- تاريخ الدولة العثمانية، د. حسون، ص (١٣٤).

١٠٣٢ وولوا مكانه السلطان مراد الرابع، وكانت وفاة مصطفى الأول سنة ١٠٤٩ هـ /١٦٣٩م[١].

**شعار الدولة العثمانية**

١- تاريخ الدولة العلية، فريد بك، ص (٢٧٩).

## (١٦) عثمان الثاني ابن أحمد الأوّل
## (١٠٢٧- ١٠٣١هـ)، (١٦١٨- ١٦٢٢م)

تولَّى الحكم بعد عزل عمِّه مصطفى الأوَّل، وكان صغيراً لم يزد عمره على الثالثة عشرة، وأعلن الجهاد على بولونيا (بولندا) لتدخلها في شؤون إمارة البغدان، وتمَّ الصلح بين الطرفين عام ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م بناءً على طلب بولونيا وطلب الإنكشارية الَّذين تعبوا من مواصلة القتال، فغضب السلطان عليهم من طلبهم الرَّاحة، وخلودهم إلى الكسل[١].

فعزم السلطان بعد ذلك على إفناء الإنكشارية، وأمر بتنظيم جيوش جديدة في آسيا وتدريبها لكنَّ الإنكشارية استطاعت عزله في ٩ رجب عام ١٠٣١هـ، وأعادوا مصطفى الأول الذي كانوا قد خلعوه سابقاً[٢].

وقد ترك لنا بعض الأشعار منها:

«كانت نيَّتي الخدمة لحكومتي ودولتي وللعجب أنَّ الحسود يعمل لنكبتي»[٣].

---

١- انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص (١٠٦).

٢- تاريخ الدولة، د. حسون، ص (١٣٤).

٣- انظر: السلاطين العثمانيون، ص (٦١).

# (١٧) مـراد الرَّابع ابن أحمد الأوَّل
# (١٠٣٢-١٠٤٩هـ)، (١٦٢٣-١٦٤٠م)

هو أخو عثمان الثاني، تولَّى أمر السلطنة بعد أن عُزِلَ عمه مصطفى، وكانت أحوال الدولة سيئةً جداً، فقام بإصلاح الأحوال الداخلية أوَّلاً، حتَّى يتسنَّى له التفرغ للأحوال الخارجية[١].

## الحروب الخارجية:

حدث في زمنه أن وسَّع الشاه عباس حدود بلاده من جهة الدولة العثمانية، ثمَّ توفي الشاه وتولى ابنه (ميرزا) وهو صغير السن، فاستغل العثمانيون صغر سنه، ووصلوا إلى همذان ثمَّ بغداد[٢].

وتعدَّى ملك بولونيا (لاديسلاس السابع) على حدود السلطنة العثمانية، وفتح بعض القلاع التَّابعة لها، فاضطر السلطان إلى الخروج بنفسه إلى أدرنة ليستعد منها لحربه، فاضطر الملك المذكور إلى طلب الصلح بعد أن نازله (أباظة باشا) وكسره[٣].

## وفاة السلطان، وبعض صفاته:

كان مراد الرابع عاقلاً، شجاعاً، ثاقب الرأي، لقبه المؤرخون ((اسكندر الثَّاني)) فقد استأصل الفساد، وقمع العصاة، ولقب بمؤسس الدولة الثَّاني لأنَّه

---

١- المصدر السابق نفسه.

٢- تاريخ الدولة، د. حسون، ص (١٣٥).

٣- المصدر السابق نفسه.

أحياها بعد السقوط، وأصلح حال ماليَّتها، ومنع في عهده الخمر، والتدخين، وأعدم كلَّ مرتد عن الإسلام في عهده. توفي وهو في ريعان الشباب في ١٦ شوال من عام ١٠٤٩هـ، بعد أن اشتدَّ عليه مرض النقرس، وامتدَّ حكمه ١٦ سنة و١١ شهراً[1].

١- المصدر السابق نفسه، ص (١٣٦).

# (١٨) إبراهيم ابن أحمد الأوّل
# (١٠٤٩- ١٠٥٨هـ)، (١٦٤٠- ١٦٤٨)

تولَّى الحكم بعد أخيه مراد الَّذي لم يعقب ذكوراً، ولم يبق بعد موت السلطان مراد الرابع من نسل آل عثمان سوى أخيه السلطان إبراهيم[١]. قال عند ارتقائه العرش: «الحمد لله، اللهم جعلت عبداً ضعيفاً مثلي لائقاً لهذا المقام! اللهم أصلح، وأحسن حال شعبي مدَّة حكمي»[٢].

## الأحوال الداخلية:

كانت الأحوال الداخلية شبه مستقرَّة في عهده بسبب إصلاحات أخيه نحو الإنكشارية، وتجديد الجيش، فاتَّجه إلى الاقتصاد وإصلاح النَّقد وإقامة النِّظام الضرائبي على أسس جديدة[٣].

وقد حافظ على سمعة الدولة فأرسل جيشاً إلى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الروس وانتصر عليهم، واستردَّ مدينة آزاق[٤] من أيديهم عام ١٠٥٣هـ، وفتح جزيرة كريت التابعة للبندقية تحت قيادة يوسف باشا وذلك عام ١٠٥٧هـ ، ثمَّ حاصر عاصمتها، ولكنَّ الجنود تمردوا في استانبول وأهاجوا الإنكشارية الذين قرروا عزل السلطان وتولية ابنه محمد الرابع الذي لم يتمَّ السابعة من عمره، وقتل السلطان إبراهيم، وقد امتدَّ حكمه ٨ سنين و٩ أشهر وكان عمره ٣٤سنة[٥].

---

١- الدولة العثمانية، د. الصلابي، ص (٣٣٧).

٢- انظر: السلاطين العثمانيون، ص (٦٤).

٣- انظر: الدولة العثمانية، د. إسماعيل ياغي، ص (١٠٨).

٤- آزاق: هي آزوف Azov وتقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف؛ ويطلق اسم بحر آزوف على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود.

٥- تاريخ الدولة، د. حسون، ص (١٣٦، ١٣٧).

## (١٩) محمّد الرابع ابن إبراهيم الأوّل
## (١٠٥٨- ١٠٩٩هـ)، (١٦٤٨- ١٦٨٧م)

ولد هذا السلطان عام ١٠٥١هـ، وتولّى المسؤوليَّة وهو ابن سبع سنوات، فرأت أوربة أنَّ الوقت حان للنيل من الدولة العثمانية، لذلك كوَّنت حلفاً ضمَّ: النمسا، بولونيا، البندقيَّة، رهبان مالطة، البابا، وروسيا، وسموه (الحلف المقدس) وذلك للوقوف في وجه المدِّ الإسلامي، الذي أصبح قريباً من كل بيتٍ في أوربة الشرقيَّة بسبب جهاد العثمانيين الأبطال وبدأ الهجوم الصليبي على ديار الإسلام، وقيَّض الله لهذه الفترة (آل كوبريللي) الذين أسهموا في ردِّ هجمات الأعداء وتقوية الدولة؛ فالصدر الأعظم محمَّد كوبريللي أعاد للدولة هيبتها، وسار على نهجه ابنه (أحمد كوبريللي) الذي رفض الصلح مع النمسا، والبندقية، وسار على رأس الجيش لقتالهم، فتمكن عام ١٠٧٤هـ، من أن يفتح أعظم قلعة في النمسا، وهي قلعة نوهزل[١]، وفي عهد هذا الصدر الأعظم حاولت فرنسا التَّقرب من الدولة، وتجديد الامتيازات، غير أنَّ الصدر الأعظم رفض ذلك ثمَّ حاولت فرنسا التهديد؛ حيث أرسل ((لويس الرابع عشر)) ملك فرنسا السفير الفرنسي مع أسطولٍ بحريٍّ، وهذا ما زاد الصدر الأعظم ثباتاً حيث قال: ( إنَّ الامتيازات كانت منحةً سلطانية، وليست معاهدةً واجبة التنفيذ)[٢].

ارتعدت أوربا من هذا الصدر الأعظم، وتذكرت أيام السلطان سليمان القانوني، وفزع إمبراطور النمسا لدخول الجيوش العثمانية إلى بلاده، وانتشارها في إقليميٍّ (مورافيا، وسيليزيا)[٣] فوسَّط البابا اسكندر الرابع لدى لويس الرابع عشر

---

١- تقع إلى الشرق من فينا.

٢- انظر: الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي، ص (٧٣).

٣- مورافيا Moravie منطقة من تشيكوسلوفاكيا تقع إلى الشرق من بوهيميا، سيليزيا Silesie: منطقة في أوروبا الوسطى يخترقها نهر أودير.

ملك فرنسا بقصد مساعدته، فلبَّى لويس دعوة البابا لنصرة إخوانه في الدين ضدَّ المسلمين واشتركت ألمانيا بعشرين ألف رجل، فأصدر السلطان العثماني أوامره بالهجوم على المجر، وانتصر العثمانيون في البداية، ودخلوا قلب جيوش العدو، ولكنَّ الإنكشارية لم يتمكنوا من الثبات أمام التفوق العددي للعدو فحافظوا على مراكزهم دون تقدم في تلك الموقعة التي سميت موقعة سان جوتار[1]، ثمَّ أبرم الصلح، وجرى تقسيم المجر، وإبقاء بعض الحصون تابعةً للدولة العثمانية بموجبه[2].

وخضع جميع القوزاق- جنوب روسيا- للخليفة العثماني دون حرب، بل حبًّا للدخول في حمى الإسلام ودولته، فقامت نتيجةً لذلك بعض الحروب بين الدولة، وبولونيا، انتهت عام ١٠٨٧هـ، بهزيمة بولونيا، وعقد الصلح، وتنازلت بولونيا عن بعض مواقعها، وكان ذلك خاتمة أعمال أحمد باشا كوبريللي إذ توفي بعدها في ٢٤رمضان من عام ١٠٨٧هـ[3].

واتفق العلماء، ورجال الدولة بعد ذلك على عزل السلطان فعزل، وتولى مكانه أخوه سليمان الثاني[4].

هذه شهادةٌ من أبناء النصارى على سماحة الإسلام الذي ما نعمت البشرية بنعمة الأمن والطمأنينة على الدين والمال والدم إلا في ظله؛ وذلك لأن المسلمين طبقوا قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨](*).

---

١- سان جوتار Gotar: مدينة نمساوية تقع على الجانب الغربي من نهر الراب.

٢- تاريخ الدولة، د. حسون، ص (١٣٨).

٣- المصدر السابق نفسه.

٤- الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي، (٧٤). *- الدولة العثمانية، د. الصلابي، ص (٣٤٠).

# (٢٠) سليمان الثاني ابن إبراهيم (١٠٩٩- ١١٠٢هـ)، (١٦٨٧- ١٦٩١م)

ولد عام ١٠٥٢هـ، وتولَّى الحكم بعد أخيه، واستمرَّ التدهور في الدولة العثمانية في عهده، وازدادت شراسة الأعداء؛ فاغتصبت النمسا كثيراً من المواقع والمدن؛ منها بلغراد عام ١٠٩٩هـ، كما احتُلَّت بعض الأماكن في اليونان، وتوالت الهزائم على الدولة، فأكرم الله الدولة في تلك الفترة بالصدر الأعظم ((مصطفى بن محمد كوبريللي)) الذي سار على نهج أبيه في مواجهة خصوم الدولة؛ فكان قد سمح للنصارى في إستانبول ببناء ما تهدم من كنائسهم، وأحسن إليهم[١].

فكانت نتيجة معاملته المتسامحة للمسيحيين أن ثار أهالي (الأروام) على البنادقة الكاثوليك، وطردوا جيشها من بلادهم بسبب اضطهادهم، وإجبارهم على المذهب الكاثوليكي، ودخلوا في حماية الدولة العثمانية مختارين طائعين، لعدم تعرض الدولة لديانتهم إطلاقاً[٢].

## وفاة السلطان:

في ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢هـ، الموافق ١٦٩١م، توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب، وعمره خمسون سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر، ودفن في تربة جده السلطان سليمان الأول، وتولى بعده أخوه الأمير أحمد[٣].

---

١- انظر: الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادي، ص (٧٤).

٢- انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص (٣٠٦).

٣- المصدر السابق نفسه.

## (٢١) أحمد الثاني ابن إبراهيم
## (١١٠٢- ١١٠٦هـ)، (١٦٩١- ١٦٩٥م)

تولَّى الحكم بعد وفاة أخيه سليمان الثاني، واستشهد في زمنه الصدر الأعظم مصطفى كوبريللي الذي كان عظيم النَّفع للدولة، فتولَّى بعده الصدر الأعظم عربه جي باشا، ولكنه كان ضعيفاً، مما أتاح للبندقيَّة أن تحتل بعض جزر بحر إيجة، و لم تطل أيام السلطان، فقد توفي في أدرنة ودفن في تربة سليمان الأول، وتولى الحكم بعده ابن أخيه[١].

وكان هذا السلطان يجيد العربية والفارسية، وقد نَسَخَ القرآن الكريم بخط يده لعدة مرَّات، وفي عهده شبَّ حريقٌ ضخمٌ في العاصمة، واحترق خمسة آلاف بيتٍ فيها[٢].

---

١- انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ص (١١٥).

٢- تاريخ الدولة، د. حسون، ص (١٤١).